

## معجم البارع منهجاً وخصائص : دراسة تحليلية

د. عبد الخالق فضل رحمة الله علي

جامعة السودان المفتوحة - رئيس قسم اللغة العربية

## المستخلص:

خطا أبو علي القالي بحركة التأليف في المعاجم في الأندلس خطوات رائدة، كانت الأساس للتأليف المعجمي في الأندلس فوضع معجمه الموسوم بـ (البارع)، وهو أول معجم أندلسي، وأول معجم لم يشافه مؤلفه الأعراب، وإنما اعتمد على مؤلفات من سبقوه.

وكان يرمي في معجمه إلى الترتيب والصحة، وتلافي النقائص التي رآها في كتاب (العين) ومعجم أستاذه ابن دريد. ورتب حروف معجمه بحسب المخارج الصوتية، وحاول إصلاح بعض الاضطراب في أبواب الخليل حيث فرق بين بعض الأبنية المختلفة التي جعلها الخليل في باب واحد.

واعتنى في معجمه باللغات عناية فائقة فأكثر منها، كما اعتنى بذكر النواذر والأخبار. الحركة اللغوية في الأندلس في القرن الرابع الهجري امتداد لما قدمه العلماء المشاركة.

تدين اللغة وعلمائها في الأندلس بالفضل لأبي علي القالي ولمؤلفاته القيمة، وجهوده المقدرة في هذا الجانب، وهو مؤسس النهضة اللغوية في الأندلس بلا منازع.

## الكلمات المفتاحية:

- 1- البارع: معجم أبي علي القالي.
- 2- الأهيغ: الطعام والشراب
- 3- الحواشي والأوشاب: باب في معجم القالي
- 4- اللغات : وتعني في عرف الأقدمين بالهجات
- 5- كلمة كتاب: يقصد بها في ترتيب البارع (باب).
- 6- التقلاب: تغيير جذور اللفظ أو ترتيبها حتى يأخذ كما منها مواقع الأحرف المشتركة معه في تكوين اللفظ.

**Abstract**

Abu Algali made a significant progress in Lexicography and acted as a base for Lexicon in Alandalus. He composed "Albarie" the first one in Alandalus in which he depended on other auther's works.

In his Lexicon, Abu Ali aimed at correctness and arrangement with avoiding the defects of "Alayn" Lexicon and that of his teacher AbnDareed. He arranged his Lexicon according to place of articulation. He also tried to improve some chapters of Alkhaleel by differentiating some structures which alkhaleel put in one chapter.

In his lexicon he greatly took care of dialects as well as anecdotes and stories

Language and linguists were greatly influenced by Abu Ali's valuable works and his remarkable efforts in his respect. Thus, beyond comparison, he was undoubtedly the founder of linguistic revival in Alandalus.

مؤلفه:

أبو علي القالي

هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان. ولد عام ثمان وثمانين ومائتين، وفي رواية أخرى ولد عام ثمانين ومائتين بنمازجرد من ديار بكر، وهي من أعمال أرمينية. وغلب عليه لقب القالي نسبة إلى مدينة قالي قلا، وهي بلدة قريبة من مسقط رأسه. رحل إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة (أبو بكر الزبيدي 1954م) وكان ولادته عام ثمان وثمانين ومائتين (901م)، في رواية، وفي رواية أخرى أنه ولد عام ثمانين ومائتين (893م) (الزبيدي 1954م) ورحل إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة وأقام فيها حوالي ربع قرن تتلمذ خلالها على أئمة عصره في اللغة والأدب آنذاك. وكانت بغداد منتجع العلماء والأدباء، وقبلة الطلاب والمريدين، وفي أبهى مساجدها يتربع شيوخ اللغة والأدب والنحو، ومن حولهم حلقات حاشدة من طلاب المعرفة أمثال القالي. وقد خلعت عليه اسمها، ففي الأندلس حين دخلها لقب بالبغدادي، فكل هذه المدة التي قضاها في العراق هي التي جعلته عالماً يتميز بسعة الاطلاع، والتوثيق فيما يأخذ ويدرس مثلما يتميز بروح علمية غاية في الدقة، ودقته العلمية أكبر العوامل التي أمالت إليه قلوب الأندلسيين، وأثرت في طلابه تأثيراً بعيداً، ووضحت الأصول الصحيحة للحياة اللغوية في الأندلس.

وأثنى المؤرخون على أبي علي فقالوا فيه: ((كان أحفظ أهل زمانه للغة، وأرواهم للشعر الجاهلي، وأحفظهم له، وأعلمهم لعلم النحو على مذهب البصريين، وأكثرهم تدقيقاً فيه (الزبيدي 1954م)، بدأت رحلة القالي من بغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة متوجهاً إلى الأندلس وكان وصوله بجاية في رجب سنة ثلاثين وثلاثمائة، فعبّر البحر إلى البر الأندلسي، فوجد عامل الأمويين علي تلك الديار في استقباله بأمر من الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر في وفود من وجوه رعيته. واستقبله الخليفة الناصر وولي عهده الحكم عند دخوله عاصمة الخلافة قرطبة بحفاوة، وكان دخوله لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة. (الزبيدي 1954م)

ألقي القالي عصاه واستقر به النوى في قرطبة في عهد يعد من أعظم عهود الأندلس (الزبيدي 1954م). فقد كان ثمة نهضة علمية في ذلك العهد يرعاها الخليفة عبدالرحمن الناصروولي عهده الحكم، الذي أقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة جلبت إليها بضائعه من كل قطر (التلمساني 1949م). وما أن استقر المقام بالقالي حتى تصدر للدرس والتأليف فأملى أماليه في جامع الزهراء بقرطبة على بني الملوك وغيرهم في الأخمسة (ابن خير 1963م) فكان إقبال التلاميذ عليه منقطع النظير. وقد مات القالي في ربيع الآخر سنة 356 هـ (الحميدي 1953م)، ودفن في مقبرة متعة بالزهراء بعد أن صلى عليه أبو عبيد القاسم بن خلف الجبيري، وورثاه تلميذه أبو بكر الزبيدي (الزبيدي 1954م).

تسمية الكتاب:

فقد دخلت نسخ من كتاب العين الأندلس، وأول من أدخله ثابت بن عبد العزيز السرقسطي وابنه قاسم (الزبيدي 1954م)، وقد تكون دخلت نسخة مؤهب بن عبد القادر الباجي الذي مات بالمشرق ووصل الكثير من كتبه مع

مرافقيه إلى الأندلس (البير حبيب 1967م) وقد أدخل القاضي منذر بن سعيد البلوطي نسخة رواها عن ابن ولاد (الزبيدي 1954م).

على أن هذه النسخ جميعها لم تكن موثقة مما دفع الحكم الأموي إلى الإيعاز إلى مجموعة من العلماء، هم: القالي، ومحمد بن أبي الحسين وابنا سيد أحمد ومحمد تلميذا القالي بمقابلة الكتاب، وأحضر لهم نسخاً كثيرة منها نسخة منذر بن سعيد (الحميدي 1953م).

ولم يكن القالي يطمئن قبل ذلك إلى صحة نسبة العين إلى الخليل، وقد روي عنه أنه قال: لما ورد كتاب العين من بلد خراسان في زمن أبي حاتم، أنكره أبو حاتم وأصحابه أشد الإنكار ودفعه بأبلغ الدفع (السيوطي 1865م). ولكنه اقتنع بصحة نسبة الكتاب بعد المقابلة التي أجراها، ولم يتحفظ فسماه (صاحب العين) كما فعل آخرون (ابن سيده 1316 - 1321هـ).

أخذ القالي هذه النسخة فقدم لكل مادة لغوية بما ورد عنها في مروياته. وارتأى أن يخالف في ترتيب الحروف بعض الشيء. وأضاف بعض ما ظنه مهملاً ونسب الشواهد غير المنسوبة إلى قائلها متى استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأكمل الشواهد المبتورة، فكان من ذلك كله البار، فالبارع إذن ليس إلا كتاب العين موصولاً (القالي 1973-1974م).

وصف ابن القالي بارع أبيه وصفاً جيداً، حيث قال: (ابتدأ أبي رحمه الله تعالى النظر فيه بأمر أمير المؤمنين وتأكيده عليه، فعمل فيه من سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فأخذه بجِدِّ واجتهاد، وكمل له وابتدأ بنقله فكمل لنفسه إلى شوال سنة خمس وخمسين وثلاثمائة كتاب الهمز، وكتاب الهاء، وكتاب العين. ثم اعتل في هذا الشهر (القفطي 1950-1955م). وقد أعانه على ذلك تلميذاه: محمد بن الحسين الفهري، ومحمد بن معمر الجياني، إذ كتبا بعضاً منه بخطهما فلما مات توليا نسخ ما لم يهذب، وتهذيبه من أصوله التي بخطه وخطهما مما كتبا بين يديه (ابن بشكوال 1955م)، مستخرجين إياه من الصكوك والرقاع، فخرج بخط فصيح في مائة وأربعة وستين جزءاً، عدد ورقها أربعة آلاف ورقة وأربعمئة ورقة وست وأربعون ورقة (ابن خير 1963م).

وتسمية الكتاب بـ (البارع) مسبوق إليها من قبل المفضل بن سلمة، ومن المصادفات الجديرة بالانتباه أن بارع المفضل بن سلمة هو في الرد على كتاب العين (الحموي 1923-1925م). جل الكتاب مفقود أصلاً، وحقق هاشم الطعان الجزء الموجود منه، وهو لايساوي عشر الكتاب. وصدر قبل سبعين عاماً في العراق، وصدر مرة أخرى بمصر.

يظهر أن (البارع) لم يلاق أقبالاً من الناس، ولم يحظ بالذيع الذي يستحقه، فبرغم اشتهاره لم يمل إليه الناس منذ زمن قديم، إذ لا نعرف من الكتب التي وصلت إلينا أحداً أخذه موضوع للدراسة سوى تلميذه أبي بكر الزبيدي في كتابه (المستدرک من الزيادة في كتاب البارع علي كتاب العين) (أميل يعقوب 1981م)

وقد تكون قلة إقبال القدماء إليه هي السبب في أنه لم تصل إلينا نسخة كاملة منه، وربما يضاف إلى ذلك أن المعجم كان كبير الحجم كثير الأجزاء، واستنساخه يقتضي جهداً كبيراً ومالاً وفيراً، وفي هذا مايزهد الناس في اقتنائه

**هدف التأليف:**

ليست هناك أي إشارة في مقدمة كتابه تشير إلى تحديد أو توضيح هدف تأليفه لمعجمه البارع، وليست لدينا أقوال تفصح عن غرضه، أو هدفه، أو خطته، أو نظراته إلى ما سبقه من معاجم، إلى آخر تلك الأمور التي تتعرض لها المقدمات عادة.

ولكننا نظن أنه كان يرمي في معجمه إلى تلافى النقائص التي رآها في كتاب العين، ومعجم أستاذه ابن دريد، أي يرمي إلى الترتيب والصحة. وقد نطن أيضاً أنه أراد أن يتيح الفرصة للأندلس للإسهام في حركة المعاجم التي ظهرت في الشرق، وأخذ تيارها في التدفق والتلاطم، حتى شهد رأى القرن الذي عاش فيه القالي - القرن الرابع الهجري - هذا العدد العظيم منها. فهذا الوافد الشرقي على الأندلس كان يريد أن ينقل معارف المشاركة إلى تلاميذه ومحبيه من المغاربة. فألف لهم ما ألف، وحازت بعض مؤلفاته شهرة طبقت الآفاق كبارعه هذا وأماليه. أما قول ابنه: (( ثم عاود النظر فيه بأمر أمير المؤمنين وتأكيد عليه )) (القفطي 1950-1955م) فيشير إلى أن من أهدافه إرضاء الخليفة الأموي.

#### منهجه:

غض القالي بصره عن التقدم الذي أدخله ابن دريد في منهج المعاجم ( الترتيب الأبجائي)، ورجع إلى ترتيب الحروف بحسب المخارج، كما فعل الخليل.

ولكنه لم يتبعه تماماً، بل أدخل عليه كثيراً من التغييرات. فلم يرق كتابه على ترتيب الخليل لمخارج الحروف، بل أقامه على ترتيب سيبويه، مع بعض الاختلافات الطفيفة (حسين نصار 1968م) فقد رتب القالي الحروف على النحو الآتي: ء، هـ، ع، ح، غ، خ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، ت، د، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ي، ا، ي، (القالي 1974م). وترتيب سيبويه كالاتي:

ء ا هـ ع ح غ خ ك ق ض ج ش ي ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و (سيبويه 1988م).  
وشك القالي في موقع الحاء والحاء، وحرار في الهمزة (القالي 1974م) وشك في الحاء والحاء في مكانه، لأنه قد ورد إلينا في الأبواب التي انجزها أولاً أن العين قد جاءت بعد الهاء مباشرة. وجعل الهمزة في أول ترتيب معجمه، حيث يقول ابنه ابتداءً بنقله فكملة له كتاب الهمزة وكتاب الهاء وكتاب العين (القفطي 1950-1955م). ويضيف د/نصار الهمزة بعد الياء في ترتيب القالي، ويرتبها على النحو الآتي:

هـ، ع، ح، غ، خ، ق، ك، ض، ج، ش، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و، ا، ي، ء.  
وتقديم القالي للهاء، ووضعها للعين بعدها لا يريد به أنهما متعاقبان، بل أراد به أن الهاء مقدمة على العين فقط. وليس هناك ما يدل على أنهما متصلان في الترتيب أو منفصلان بحرف أو أكثر. ووضع الهمزة مع حروف العلة، لأنه جعل المهموز مع المعتل ولأننا نجد عنده العنوان الآتي: (( الهاء واللام والواو والألف والياء في الثلاثي المعتل ))، وأرجح أنه يريد بالألف الهمزة لا حرف العلة (حسين نصار 1968م). ومن مظاهر الخلاف بين سيبويه والقالي في ترتيب الحروف تأخير القالي حروف العلة مع جمعها، وتفريق سيبويه لها ونثره إياها بين الحروف. والخلاف الثاني وضع القالي الهمزة مع حروف العلة، وتقديم سيبويه لها في أول الحروف. وآخر خلاف بينهما تقديم القالي للضاد وجعله إياها بين الكاف والجيم، على حين أخرها سيبويه وجعلها بين الباء واللام (حسين نصار 1968م).

والحق أن مخرج الضاد ليس مركزاً في حيز واحد، بل ممتد في الفم - حتى سميت مستطيلة، لأن مخرجها من أقصى حافة اللسان إلى أذناها، أي يستغرق أكثر الحافة. فالقالي نظراً إلى أقصى مخرج لها، ونظر سيبويه إلى أذناها، وفيما عدا هذه الأمور الثلاثة يتفق سيبويه والقالي. ونلاحظ أن الخلافين الأولين كان القالي فيهما يوافق فيهما الخليل. أما الضاد فالخليل يوافق فيها سيبويه. ولكننا رأينا أن الخلاف فيها ظاهري. وجعل القالي كل حرف من هذه الحروف كتاباً، مع ترتيب هذه الكتب على ترتيبه السابق للحروف (القالي 1974م). وليس غريباً أن يكون الأساس الصوتي الذي سلسل الخليل بموجبه الحروف هو الأساس نفسه الذي جرى عليه القالي، لأن البارع هو العين كما يرى هاشم الطعان محقق البارع (القالي 1974م) ولكن تسلسل الحروف اختلف لا من حيث الأساس المتبع، وإنما من حيث تقدير مكان مخرج الصوت مما أدى إلى تقديم وتأخير. فترتيب الخليل ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ي (الخليل 1980م).

### ترتيب الأبنية:

نهج فيه القالي نهج الخليل، إلا أنه عمد في الوقت نفسه إلى تطويره وتحسينه وتخليصه من بعض مانطوي عليه من اضطراب ففرق بين بعض الأبنية المختلفة التي جعلها الخليل في باب واحد. وخصص لكل منها باباً فأصبحت الأبواب عنده ستة، هي بالترتيب:

الثنائي المضاعف، وسماه الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة:

ويضم هذا الباب الألفاظ الصحيحة الثلاثية التي يتكرر ثانيها وثالثها، مثل: جب، رد، أو الألفاظ الصحيحة الرباعية التي ترجع في حقيقتها إلى الثنائي الذي تتكرر حروفه، مثل: جدجد، همهم.

الثلاثي الصحيح: وهو بطبيعة الحال أضخم الأبواب، لأنه يحتوي على معظم ألفاظ العربية، مثل: قنت.

لثلاثي المعتل: ويضم الألفاظ التي تنطوي على حرف واحد من حروف العلة، وعلى حرفين معتلين، مثل: رمى، وعى.

الحواشي والأوشاب: ويضم الكلمات التي تحاكي الأصوات لدى نطق حروفها، أو الصحيات المستعملة في زجر الحيوانات أو حضها، وهذه الأبواب أيضاً مرتبة وفق الثنائي، فالثلاثي، واخيراً الرباعي، ومن أمثلة الثنائي الخفيف الصحيح: قق (حكاية صوت الضحك)، ومن أمثلة الثنائي الخفيف المعتل: هو (زجر الكلب)

الرباعي: المؤلف من أربعة أحرف أصلية مختلفة، مثل: بعثر، درج.

الخماسي: المؤلف من خمسة أحرف أصلية مختلفة، مثل: سفرجل.

وفي هذا التقسيم بعض الاختلاف عن تقسيم العين، حيث قسم الخليل الكلمات إلى:

1. الثنائي المضاعف من الصحيح 2. اللفيف

3. الثلاثي الصحيح 4. ما زاد على ثلاثة أصول (ابن خیر 1980م)

ويشبه باب الحواشي عند القالي باب اللفيف عند الخليل بعض الشبه فيما يحويان من صيغ، ولكن القالي حاول أن ينظم الصيغ المختلفة في داخل هذا الباب. فقسمه في بعض الحروف إلى الفصول الآتية:

الثنائي المخفف، الثلاثي الصحيح، المضاعف الفاء واللام، الثلاثي المعتل اللفيف، المضاعف الرباعي. ومن الواضح أنها تقابل ترتيب أبواب الكتاب كله. ولكنه أهمل هذه الأقسام في بعض أبواب الحواشي، وأتى بالصيغ المختلفة منها بدون تمييز.

وتابع القالي الخليل في النقايب، وملاً تلك الأبواب بالنقايب، على نمط الخليل دون أدنى تغيير، فأورد الكلمة ونقايبها، وميز كل تقليب بتصديره بكلمة مقلوية.

### وصف الكتاب:

كان الكتاب ذا حجم كبير. قيل أنه كان يتألف من أربع آلاف وأربعمائة وست وأربعين، أو خمس آلاف ورقة، تنقسم إلى مائة وأربعة وستين جزءاً (ابن خير 1963م). ولعل مُهذبه الفهري والجباني هما اللذان قاما بهذا التقسيم تيسيراً على نفسيهما، ولكي ينشراه تبعاً على الناس. وتقسيم الكتب الكبيرة إلى أجزاء صغيرة من الظواهر الملحوظة في التأليف العربي عامة، وعند اللغويين والمحدثين خاصة. ولم يصل إلينا وصف لمقدمة البارع التي لم نعثر عليها.

أما المعجم فيستهل باب الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة لتشديد أحد حرفيه. ويكرر المؤلف العنوان بنصه السابق كله مع كل حرف، مثل: الجيم والراء، والجيم والسين.

ولا خلاف بينه وبين الخليل فيما وضعه كل منهما في هذه الأبواب، فقد وضع الصيغ الآتية: الثنائي المضاعف، الثنائي المضاعف الفاء واللام، مثل: كعك، الثنائي الخفيف، مثل: هَجْ، الرباعي المضاعف، وكان يميل - كالخليل - إلى تأخير المضاعف الرباعي، ولكنه يهمل ذلك كثيراً. وكذا حاله مع بقية الصيغ. ولا خلاف بينه وبين الخليل في أبواب الثلاثي أيضاً، إلا أنه لم يشر إلى المهمل والمستعمل في هذين النوعين كما فعل الخليل.

أما أبواب الثلاثي المعتل فجديدة ليست عند الخليل، فقد جعلها مع اللفيف. وذكر فيها القالي الثلاثي المعتل بحرف واحد، حتى انتهى منه، فذكر الثلاثي المعتل بحرفين. بحسب ترتيب الحروف عنده. وخط فيها المهموز بالمعتل، والمعتل الواوي باليائي، ونبه في بعض الأحيان على كل نوع منها. واضطرب في بعض الألفاظ الثنائية الخفيفة المعتلة، مثل: الضميرين هو وهي، فنكرها في هذه الأبواب (حسين نصار 1968م).

وشرح القالي أبواب الحواشي و الأوشاب بقوله: (( هذه أبواب تتصل بالثلاثي المعتل مما جاء على حرفين أحدهما معتل، أو ثلاثة منها حرفان معتلان وسميناه باب الحواشي )) (القالي 1974م) وشرحه بأوضح من هذا في قوله: (( إنما سميناه أوشاباً لأننا جمعنا فيه الحكايات والزجر والأصوات والمنقوصات، وما اعتل عينه ولامه أو فاءه ولامه أو فاءه وعينه، أو كان فاءه ولامه، أو فاءه وعينه، أو لامه وعينه، بلفظ واحد )) (القالي 1974م). فأتي فيه بالثنائي المخفف الصحيح، أو المعتل بحرف، واللفيف والمضاعف بحرفين غير مدغمين. وقد رأيناها يضع كثيراً من هذه الأصناف في الأبواب السابقة، مثل: الثنائي المخفف الصحيح، والمضاعف بحرفين غير مدغمين إذ وضعهما في الثنائي المضاعف، والثنائي المخفف المعتل واللفيف إذ وضعهما في باب الثلاثي المعتل. وقد أدى هذا إلى أمرين:

- 1- تكرير بعض الصيغ في أكثر من باب.
  - 2- وضع الألفاظ من النوع الواحد في أبواب متفرقة.
- ولعل سبب هذا الاضطراب تأثره بباب اللفيف عند الخليل الذي تضمن هذه الأنواع جميعاً، ونسيانه بعض التجديدات التي أدخلها على منهجه.
- وراعى في ترتيب أبواب الرباعي الحرفين الأقسامين مخرجاً من الكلمات وحدهما، ولا خلاف فيها بينه وبين الخليل. ولكنه ذكر بعض الألفاظ الرباعية المضاعفة في هذه الأبواب، وجعل في بعضها أقساماً لا تقوم على أساس.
- وكان ذلك من دواعي الاضطراب في الكتاب، وتفرق الصيغ، إذ عالج الرباعي المضاعف في الثنائي المضاعف أيضاً.
- ويخرج المرء من هذا الوصف كما يرى د/ نصار بأن القالي أراد إصلاح بعض وجوه النقص في كتاب العين، فغير في منهجه بعض الأمور، ولكنه حين أراد تطبيقها عملياً اضطرب وأخفق كثيراً (حسين نصار 1968م).

#### تحليل المواد:

ولنحاول الآن أن نتبع علاج القالي لبعض مواد ونحللها، لنقف على بارعه عملياً.

قال أبو علي (القالي 1974م) قال يعقوب: يقال لمن أخصب وأثرى وقع في الأهيين بالغين المعجمة أي الطعام والشراب. وقال الخليل: الأهيع أرغد العيش وأخصبه، قال رؤبة:

عنكم وأيديكم طوال المبلغ يغمسن من غمسنه في الأهيع

المادة قصيرة، ولكنها تعطينا بعض الأضواء التي نستطيع أن نتبين على هداها خصائص ذلك الكتاب. وأول هذه الأضواء أن المادة كلها ليست للقالي بل لابن السكيت والخليل، والمؤلف له فضل الجمع فحسب.

وثانيها أن المؤلف أمين في اقتباساته، يرد كلا منها إلى صاحبه صراحة، وثالثها أنه ضبط الحرف الذي خاف تصحيفه بالعبرة. قال أبو علي (القالي 1974م) ' قال أبو زيد: العماهج من الألبان الذي حقن حتى إذا أخذ اللبن طعماً غير حامض ولم يخالطه ماء لم يخثر كل الخثارة: وأشد يارب بيضاء من العواهج شرابة اللبن العماهج.

وقال الخليل: العماهج بفتح العين وضمها اللبن الخائر من الألبان، الطيبة، وقال الراجز: تغذي بمحض اللبن المعماهج. أما مقلوبه. قال أبو علي، قال الخليل: تقول العجْهوم طائر من طير الماء كأن منقاره جلم الخياط. قال أبو علي: ولا أدري ما صحته.

فنلاحظ في هذا المثال أيضاً: أن المادة ليست له، بل لأبي زيد والخليل، والقالي له فضل الجمع، وأنه أمين في اقتباساته، صادق مع نفسه خصوصاً قوله: ولا أدري ما صحته.

ونلاحظ أنه أتى بمقلوب المادة السابقة، والمادة كذلك ليست له، بل للخليل.

ونأخذ مثلاً من أبواب الثنائي المضاعف في الخط والثلاثي في الحقيقة لتشديد أحد حرفيه.

قال أبو علي (القالي 1974م)، قال أبو زيد: أجزّ البرّ والشعير إجزازاً وهو حين إدراكه. ويقال جززت الكباش والنعجة أجزّما جزّه بفتح الزاي في الماضي وضمّها في المستقبل. واسم ما يجرّ الجزة بكسر الجيم على مثال فعلة وجماعها الجزز على مثل فعل. والجزاز على مثال فعال ولا يكون الجزّ في المعرى، ومثل لهم: يا شاة أين

تذهبين؟ قالت أجزّ مع المجزوزين. يضرب هذا مثلاً عند الرجل يأتي القوم فينطلق معهم وهو لا يدري ما هم فيه، يفعل مثل فعلهم وهو لا يريد ذلك قبل أن يرى القوم، وقال أيضاً: والجَزُوزة بفتح الجيم ما يُجَزُّ من الغنم التي يجز صوفها وجماعها الجَزَائِر.

وقال أبو حاتم: يقال هذا وقت الجَزاز، والجَزاز بفتح الجيم وكسرهما، يعني حين تجز الغنم. وذكره يعقوب عن الفراء. وقال يعقوب: قال أبو صاعد: يقال قد أجزّ الزرع إذا حان له أن يحصد. وقال أبو حاتم: زعم الجعدي أن الزرع لا يكرم حتى يكون كثير الجَزاز. وجَزازه عصفه يجزه القوم فيعلفونه دوابهم.

وقال الخليل: الجَزَجَزَ الشعر والصوف والحشيش ونحوه. والجَزَز الصوف الذي لم يستعمل بعد ما جزّ، تقول صوف جَزَز. والجَزاز بفتح الجيم كالحصاد واقع على الحين والأوان. وتقول: أجزّ النخل كقولك أحصد البر أي بلغ. وجزّه اسم أرض يقال منها يخرج الدجّال. والجَزاز بضم الجيم: ما فضل عن الأديم إذا قطع. والواحدة الجزازة بضم الجيم أيضاً. وخرزة تسمى خرز الجزيز. قال بعضهم: سألت عنها بمكة فأروبنها؟ وهو شبيه بالجزع وليس به، والواحدة جزيزة. وقال بعضهم: خرز عهن من ألوان الصوف كانوا يتخذونه مكان الخلاجيل يتزينون بها وقال النابغة:

خرز الجزيز من الخدام خوارج من خرج كل وصيلة وازار

ويظهر من هذه المادة مما ظهر في سابقتيها، اعتماد القالي على غيره، وأمانته في الاقتباس، ويظهر فيها أمر جديد لم نره عند غيره من قبل، وذلك هو الضبط بالعبرة، فينص على شكل الحرف أو وزن الكلمة، وقد سبق له في المادة الأولى النص على الحرف نفسه أمعجم هو أم مهمل؟ وتلك خطوة لازمة في سبيل الوثوق من عدم التصحيف. وصحة نطق الكلمات وخاصة في الخط العربي، والقالي له فضلها.

ونرى في هذه المادة أيضاً أنه كان يحاول أن يجمع أكبر عدد من أقوال اللغويين، مثل: أبي زيد، وأبي حاتم، والخليل، ويعقوب، وأبي صاعد، والجعدي، وكقول بعضهم وقد أثر هذا فيه أثراً ليس في مصلحته من تكرار بعض الصيغ، لتكرار المراجع التي يأخذ عنها.

**أهم سمات معجمه:**

**كثرة أسماء اللغويين :**

1. أول ظاهرة يلحظها القارئ في البارح الكثرة الهائلة من أسماء اللغويين الذين يرد ذكرهم في المواد. ومنهم من كان يظهر في جميع المواد كالخليل، ويقاربه في ذلك أبو زيد الأنصاري، يليهما الأصمعي ويعقوب بن السكيت. وكان في بعض الأحيان يأتي بالمادة كلها من قول الخليل، وأبي زيد، ونقل عدة مرات عن غيرهم، أمثال: أبي حاتم السجستاني، وأبي عبيدة، والباهلي، والنضر بن شميل، واللحياني، وسلمة بن عاصم، والرؤاسي، وقطرب، ولزاز، وابن كيسان، وابن قتيبة، وثابت، وسيبويه، وابن الأعرابي، وأبي عمرو الشيباني، والفراء، والكسائي، وابن دريد، وغيرهم من اللغويين. ووردت روايات عن الأعراب الفصحاء، أمثال: أم الحمارس الكلبية، وأبي زياد الكلابي، وأبي صاعد الكلابي، ورداد الكلابي، وأبي الغادية النمريّة، وأبي أدهم الكلابي، وأبي العطف الغنوي، وأبي خيرة، وأبي مسمع، وأبي الدقيش وأبي جميل الكلابي، وغيرهم.



فالقارئ يحس أمام أية مادة من مواده أنه بإزاء رجل يجمع له الأقوال المختلفة التي أدلى بها اللغويون في هذا اللفظ، ويتقصى في الجمع. وهذه إحدى خصائص البارع. وكان القالي أميناً فيما ينقله لا يتصرف فيه، وينسبه إلى أصحابه، حتى مدحه القفطي بذلك (القفطي 1950-1955م).

#### الصحة:

الظاهرة الثانية الخوف من اللحن والتحريف أن يطراً على الألفاظ، ومحاولة إحاطتها بالضمانات التي تقيها ذلك. فالترزم للمرة الأولى في المعاجم ضبط الألفاظ التي يخاف عليها اللبس بالعبارة. وسار في ضبطه في طريقين: أبيان الشكل مثل قوله: (( وقال الأصمعي: ويقال كنا على جدة النهر، بكسر الجيم وتشديد الدال وبالهاء وأصله أعجمي نبطي كذا فأعرب.. وقال الأصمعي وغيره: يقال رجل له جدّ بفتح الجيم أي له حظّ في الأشياء )) (الوالي 1974م).

ب. بيان الوزن مثل قوله: (( ويقال زُجّ وزججة وزجاج على مثال فعل وفِعلة بكسر الفاء وفتح العين، وفعال بكسر الفاء )) (الوالي 1974م). وكان في ذلك ضبط للحروف أنفسها وضمان لها من التصحيف. وإنه لجدير بأن يقول عنه الحميدي: (( كانت كتبه على غاية التقيد والضبط والاتقان )) (الحموي 1938م).

ومن مظاهر حبه للصحيح والتزامه إياه، اختياره المراجع التي اعتمد عليها من المشهور بالصحة. فقد اعتمد أول ما اعتمد على الخليل، وهو الرائد الأول الذي لا ينكر قوله وإن قيل في كتاب الخليل ما قيل، ثم اعتمد على أبي زيد الأنصاري، والأصمعي، ويعقوب بن السكيت، وهم من أعلام اللغة الأوائل. أما أستاذه ابن دريد فقد لقي معارضة كثيرة من اللغويين وخاصة فيما نسبه إلى اليمن من لغات. ويبدو أن مؤلفنا أثر السلامة، فلم يستق منه كثيراً، على الرغم من أنه أستاذه، حتى أنه لا يظهر اسمه إلا في الصفحة الرابعة والثلاثين ثم في فترات متباعدة (حسين نصار 1968م).

واعترف الدارسون لكتاب البارع بهذه الصحة، فقال السيوطي فيه: (( وأصح كتاب وضع في اللغة على الحروف بارع أبي علي البغدادي وموعب ابن التيناني )) (السيوطي 1865م).

#### 1. كثرة الشواهد من النصوص الأدبية:

فالقالي علامة ذو معارف أدبية ولغوية متسعة شاملة، كما يظهر في أماليه، ولذلك تناثرت هذه المعارف في بارعه، وتأثر منهجه بمنهج الكتب الخاصة بها من أمثال الأمالي. فمن هذه المظاهر التي تتصل بهذه الظاهرة الأدبية، كثرة الشعر الذي يستشهد به وطول مقطوعاته.

ومن أسباب كثرة الشواهد في البارع رجوع مؤلفه إلى كثير من اللغويين، وأخذ شواهدهم كلها. وكان من أثر ذلك تكرار بعض الشواهد في المادة الواحدة، كما في (عوه) (الوالي 1974م).

واضطر في كثير من الأحيان إلى الإشارة إلى أنّ الشاهد قد مضى.

وربما يتصل بتلك المظاهر الأدبية عنايته بالتعبيرات الخاصة وإيراده ما يفسره من ألفاظ في عبارات، حتى يحيطه بجوه الخاص. كما يرى ذلك د/ نصار (حسين نصار 1968م).

#### اللغات:

عني القالي باللغات عناية فائقة فأكثر منها وبالغ. وإنما نرى عنده من اللغات المنسوبة: لغات الكلابيين، والنميريين، والطائيين، والقيسيين، والأسديين، والتميميين، وبنو غني، وأهل مصر، والمدينة، والحجاز، والجزيرة، والعراق.

وأكثر خاصة من ذكر الكلابيين، إذ يرد اسمهم في خمس صفحات من الصفحات الأولى ويكثر بصورة واضحة في جميع أنحاء الكتاب، بل تكثر أسماء الأعراب والرواة الكلابيين عنده أيضاً، مثل: أم الحمارس، وأبي زياد، وأبي جميل، ورداد، وغيرهم. ومن أسباب هذه الظاهرة إكثار المؤلف الاقتباس من أبي زيد الأنصاري، الذي يروي عنهم كثيراً يقول: (( قال أبو زيد: قال الكلابيون: ومن الرجال الهيق الهاء مفتوحة والياء ساكنة وهو المفرط طويلاً، ولم يعرفه في الأنثى)) (القالي 1974م)، ويقول: (( قال أبو زيد: قال الكلابيون: ومن الرجال الأهوك، على مثال أحمق، وهو الذي فيه حمق وفيه بقية، والاسم الهوك بفتح الهاء والواو)) (القالي 1974م). ورجح في بعض الأحيان بين اللغات المختلفة التي يذكرها، مثل قوله: (( يقال: وهجت توهج بكسر الهاء في الماضي وفتحها في المستقبل وهي وهجة، والعالي من كلامهم توهجت)) (القالي 1974م). والحق أن ترجيحاته قليلة، ومعظمها لم يكن من كسبه وإنما مما اقتبسه من اللغويين، فليس له غير فضل الاختيار. ولا شك أن الاختيار فيه دلالة على العناية والاهتمام.

ويتصل بذلك دقته في التفرقة بين الصيغ المتقاربة من المادة الواحدة، كما نرى في قوله: (( كل شيء هاج فمصدره الهيج غير الفحل فإنه يقال يهيج هيجاناً وكل فحل من الدواب يهيج، ويقال هاج الفحل هياجاً، واهتاج اهتياجاً إذا ثار وهدد. وكل شيء يثور للمشقة والضرر فهو كذلك. تقول: هاج الدم، وهاج الشر بين القوم والهيجاء الحرب بالمد والقصر)) (القالي 1974م).

### 1. العناية بالنوادير والأخبار:

ومنه قوله: ((قال ابن الأعرابي وغيره: نزل المخبل السعدي وهو في بعض أسفاره على ابنة الزبرقان بن بدر وقد كان يهاجي أباه، فعرفته ولم يعرفها، فأنته بغسول فغسل رأسه وأحسنه قراه وزودته عند الرحلة. فقال لها: من أنت؟ فقالت: وما تريد إلى اسمي؟ قال: أريد أن أمدحك، فما رأيت امرأة من العرب أكرم منك، قالت: اسمي رهو. قال: تالله ما رأيت امرأة شريفة سميت بهذا الاسم غيرك. قالت: أنت سميتي به. قال وكيف ذلك؟ قالت: أنا خليفة بنت الزبرقان. وقد كان هجاها في شعره فسمها رهواً وذلك بقوله:

فانكحتم رهواً كأن عجانها مشق إهاب أوسع السلخ ناجله

فجعل على نفسه ألا يهجوها ولا يهجو أباهاً أبداً وأنشأ يقول:

لقد زل رأي في خليفة زلة

سأعتب قومي بعدها فأتوب

وأشهد والمستغفر الله أنني كذبت عليها والهجاء كذوب)) (القالي 1974م).

### 6. النقد:

عند القالي شيء من النقد قليل، نراه في قوله: (( قال الخليل: يقول العجهوم طائر من طير الماء كأن منقاره جلم الخياط. قال أبو علي: ولا أدري ما صحته)) (القالي 1974م).

وقوله: ((قال الخليل: والعليز، بكسر العين والهاء وسكون اللام: أن يعالج الوبر بدماء الحلم كأن يُدق الصوف مع القردان فيؤكل، كانت الجاهلية تفعل ذلك في الجذب، وقال غيره المعليز والمعزل الحسن الغذاء. قال أبو علي: وهذا تفسير سوء)) (القالى 1974م). لكنه لم يقول لماذا هو كذلك؟ ومهما يكن من قول فإنّ هذا الجهد الخاص هزيل بالنسبة لكتاب في حجم البارع وشهرته، ولذلك لا نستطيع أن ندعي للمؤلف شخصية بارزة فيه، وإنما تبرز شخصيته في جمعه واختياره بكل وضوح (حسين نصار 1968م). ولا يختلف القول عن الخليل فيما عالجه في مواده من ألفاظ تتصل بالحيوان أو النبات أو البقاع أو ما إلى ذلك من موضوعات. ومثلها في ذلك مثل بقية أصحاب المعاجم العربية كذلك لا خلاف بينهما في طريقة العلاج والاستشهاد.

#### المآخذ:

- أما المآخذ التي وجهت إلى البارع فهي المآخذ نفسها التي وجهت إلى كتاب العين ومدرسته، ومنها:
1. ولعل أهم هذه المواطن وأبرزها صعوبة البحث عن المواد في المعجم، بسبب ذلك النظام العسير القائم على المخارج والأبنية والتقاليد.
  - وقد أشار إلى مثل هذا الضعف أكثر من عالم ولاموا في ذلك أيضاً معجمات أخرى اعتمدت نفس الأسس. قال ابن دريد: ((قد ألف الخليل بن أحمد كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته، وعنى من سما إلى نهايته، ولكنه رحمه الله ألف كتابه مشاكلاً لتقريب فهمه، وذكاء فطنته)) (القرشي 1963م) ويقول السيوطي: ((كتاب العين لا يمكن طالب الحرف منه أن يعلم موضعه من الكتاب من غير أن يقرأه، إلا أن يكون قد نظر في التصريف، وعرف الزائد والأصلي والمعتل والصحيح والثلاثي والرباعي والخماسي، ومراتب الحروف من الحلق واللسان والشفة، وتصريف الكلمة على ما يمكن من وجوه تصريفها في اللفظ على وجوه الحركات وإحاقها ما تحتل من الزوائد ومواضع الزوائد بعد تصريفها بلا زيادة، ويحتاج مع هذا إلى أن يعلم الطريق التي وصل الخليل منها إلى حصر كلام العرب، فإذا عرف هذه الأشياء، عرف موضع ما يطلب من كتاب العين)) (السيوطي 1865م) وهذه الاتهامات جميعها تنال كتاب البارع بنسب متفاوتة. فالبارع واحد من فئة المعجمات التي اتخذت مخارج الحروف والأبنية والتقاليد أساساً لها.
  2. التكرار الظاهر في الشواهد والتفسيرات، وسببه الخطة التي اتبعتها المؤلف من جمع أكبر عدد من أقوال اللغويين في اللفظ المفسر. وهناك تكرار لا يرجع إلى خطته، وإنما هو اختلال غير معروف السبب اللهم إلا السهو والنسيان. فنراه يكرر بعض المواد نفسها، مثل ((غذم)) (القالى 1974م) فقد ذكرها منفردة بعد ((غسم)) وتقاليبها (القالى 1974م) وهو موضعها الطبيعي من الكتاب. ولكنه عقد لها مادة ثانية بعد ((تقب)) وتقاليبها (القالى 1974م). والسياق مختلف في المادتين اختلافاً كبيراً، فلا يشتركان إلا في قول واحد عن الخليل. ونلاحظ أنه تخلص أحياناً من تكرار الشواهد بتصريحه أن قد مضى إيرادها.

1. إيراد التفسيرات المختلفة أو المتعارضة دون أن يبذل أي جهد ليوافق بينها أو يرجح، قال: ((قال الأصمعي فرس أشوه و فرس شوهاه إذا كان يرفع إليهما الطرف من حسنهما، قال الخليل: الشوه بفتح الشين والواو مصدر الأشوه، والشوهاء والأشوه، هما القبيحا الوجه والخلقة، و فرس شوهاه: وهي التي في رأسها طول وفي منخرها وفي فمها سعة، وقال أبو عمرو: فرس شوهاه: حديدة النفس. وقال الأصمعي: الشوه امتداد العنق وارتفاعها، الذكر أشوه والأثنى شوهاه. وقال غيره: امرأة شوهاه: حسنة، ومنه الحديث المرفوع أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة شوهاه إلى جنب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب)) (ابن الأثير 1963م). والشوهاء القبيحة، والشوه سرعة الإصابة بالعين)) (القالى 1974م).

و خلاصة القول إنّ القالي خطا بحركة التأليف في المعاجم إلى الإمام خطوات جبارة، وكانت الأساس للتأليف المعجمي في الأندلس، وهو أول معجم عربي عرفته الأندلس في منتصف القرن الرابع الهجري، وأول معجم لم يشافه مؤلفه الأعراب، وإنما اعتمد على مؤلفات من سبقوه، وهو معجم كبير في ألفاظ العربية. وقدم بهذا الكتاب أثراً عرف الناس فضله ومدحوه، فقال ابن الأبار: ((فلما كمل الكتاب وارتفع إلى الحكم المستنصر بالله، أراد أن يقف على ما فيه من الزيادة على النسخة المجمع عليها من كتاب العين، فبلغ ذلك إلى خمسة آلاف وستمائة وثلاث وثمانين كلمة)) (ابن الأبار 1955-1956م). وقال ابن خبير: ((زاد على كتاب الخليل نيفاً وأربعمائة ورقة مما وقع في العين مهماً فأملاه مستعملاً، ومما قلل فيه الخليل فأملى فيه زيادة كثيرة، ومما جاء دون شاهد فأملى الشواهد فيه)) (ابن خبير 1963م). وأطنب آخرون في مدحه ورأوا أنه ((لا يعلم أحد من العلماء المتقدمين والمتأخرين ألف مثله في الإحاطة والاستيعاب)) (الزبيدي 1954م). وقال السيوطي: ((وأصح كتاب وضع في العربية على الحروف بارع أبي علي البغدادي، وموعب ابن التياني)) (السيوطي 1865م) وفي المنهج ترك نظام ابن دريد، ورجع إلى نظام الخليل بعد أن أدخل عليه بعض التحسينات، وعني بالصحيح من المراجع، وضبط ألفاظه لوقايتها من التصحيف، وعزا كل قول اقتبسه إلى قائله، وربط بين المعجمات وكتب الأدب.

#### المصادر:

- 1- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (1954م)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، القاهرة، ص 202، 205، 204، 309، 319، 203.
- 2- التلمساني، الشيخ أحمد ابن محمد المقري (1976م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: د/ إحسان عباس، مطبعة السعادة، مصر 1949م.
- 3- ابن خبير، أبو بكر محمد، فهرسة ابن خبير (1963م)، تحقيق: كوديرا وريبييرا، بيروت ص 354 - 355.
- 4- الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله (1953م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تحقيق: محمد تاويت الطنجي، الطبعة الأولى، مكتبة دار السعادة، القاهرة، مصر ص 347، 347.
- 5- مطلق: البير حبيب، الحركة اللغوية في الأندلس، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص 63.

- 6- السيوطي، جلال الدين (1282هـ/1865م)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، مصر، 84/1، 45/1، 46/1.
- 7- ابن سيده، (1316هـ - 1321هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص 84.
- 8- القالي، أبو علي، البارع (1973م - 1974م)، تحقيق: هاشم الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، ودار الحضارة العربية، بيروت، ص 6، 65، 66، 70، 81، 82، 83، 85، 87، 90، 96، 97، 100، 101، 103، 110، 122، 129، 170، 183، 184، 371، 370، 374، 523، 572، 580.
- 9- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (1950 - 1955م)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ص 207/1، 205/1، 209/1.
- 10- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (1955م)، دار السعادة، القاهرة، مصر، 620/2.
- 11- الحموي، شهاب الدين ياقوت (1983م)، معجم الأدباء، مكتبة عيسى الحلبي، القاهرة، مصر، ص 31/8، 417/5.
- 12- يعقوب، د/ إميل (1981م)، المعاجم اللغوية العربية بداعتها وتطورها، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص 66.
- 13- نصّار، د/ حسين (1968م)، المعجم العربي، الطبعة الثانية، مكتبة مصر، القاهرة، ص 314، 315، 316، 319، 324، 327، 329.
- 14- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (1408هـ/1988م)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 431/4.
- 15- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (1980م)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت، ص 45.
- 16- القرشي، محمد بن أبي الخطاب (1963م)، جمهرة أشعار العرب، دار صادر، بيروت، ص 3.
- 17- ابن الأثير، مجد الدين أبو السادات المبارك بن محمد (1963م)، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، 511/2.
- 18- ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر (1955 - 1956م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عزة العطار الحسين، القاهرة، ص 371.